العدو الغامض

محمود سالم

العدو الغامض

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

العدو الغامض

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٦٨٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٥.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
أخطر اجتماع!	١١
الرجل ذو المعطف الطويل!	١٥
ليلة الأحد!	١٩
مهمةٌ سريعة لعثمان!	٢٣
حديث من القاهرة!	٢٧
الشفرة الخطيرة!	٣١
في ضيافة السنيور «بنيتو»!	٣٥
الصيد الكبير!	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

أخطر اجتماع!

لاحظ «أحمد» أن صوت رقم «صفر» فيه شيءٌ من التوتُّر غير المعتاد، وعرف أن الموضوع الذي يتحدث عنه خطير ... بل شديد الخطورة ... وكان معه حقٌّ في استنتاجه ... فقد كان المقر السري للشياطين الـ ١٣ مُهدَّدًا!

كان رقم «صفر» قد طلب الاجتماع في صباح يومٍ شتويٍّ باردٍ، وكان الشياطين الـ «١٣» جميعًا يُزاوِلون التمارين الرياضية الصباحية، عندما طلب منهم إيقاف التمارين، والذهاب فورًا إلى قاعة الاجتماعات ... وعندما وصلوا وهم يرتدون ملابس التدريب «الترينج سوت» كان رقم «صفر» قد سبقَهم إلى القاعة ...

تحدَّث الزعيم فورًا قائلًا: إن بعض عملائنا قد لَقِيَ مَصرَعَه في ظروفٍ غامضة ... وهذا في حد ذاته يشكل تحدِّيًا لنا لا بد من مواجهته ... ولكن الأخطر من ذلك أن مقر الشياطين نفسه مُهدَّدٌ بكشف موقعه ... وأنتم تعرفون أن مقر الشياطين قد اختير في مكانٍ لا يمكن لأحد اكتشافه ... ولكن الآلات الإلكترونية الحديثة يمكن أن تكتشف أي مكانٍ إذا حصلَت على المعلومات الكافية ...

وسكت رقم «صفر» لحظاتٍ ثم مضى يقول:

«ولعلكم تسألون: كيف تسرَّبتْ معلومات عن المقر السري؟ ... وسأُوضِّح لكم كل شيء!»

وأُضيئَت خريطةٌ لموقع المقر السري في قلب الصحراء ... وقال رقم «صفر»: «لقد أنفقنا بضعة ملايين من الجنيهات على إقامة هذا المقَر ... وهو كما تعلمون قلعةٌ حصينة من الفولاذ بُنيَت في قلب الصخر ... ولا يمكن لأحد اكتشافه من الجو ... أو من أي مكان إلا إذا حصل على معلوماتٍ كافية، ولكن ...»

وسكت رقم «صفر» ليستردَّ أنفاسه ثم قال: «إننا نرسل ونتلقى عشرات الرسائل الشفرية من عملائنا في كل مكان ... ويمكن للأجهزة الإلكترونية الحديثة أن تكشف مكان الإرسال إذا حدَّدتِ الموجة التي تعمل عليها الأجهزة اللاسلكية ... ومن الواضح أن هناك محطةَ استقبال قويةً قد التقطَت رسائلنا إلى عملائنا في «باريس» و«لندن» و«روما»، حيث حدَّدتْ أماكن إقامتهم، ثم قام العدوُّ الغامض بالقضاء على هؤلاء العملاء بوضع قنابلَ ناسفةٍ في مكان إقامتهم ... عدا عميلنا في «روما» الذي قُتل في ظروفٍ غامضة أثناء سيره في الشارع ... حيث أُطلقَت عليه رصاصةٌ من بندقية كاتمة للصوت، فلَقِيَ مَصْرَعَه في الحال ...»

كان الشياطين يستمعون إلى رقم «صفر»، وقد انتقلَت إليهم عدوى التوتُّر؛ فالمسألة فعلًا في غاية الخطورة ...

ومضى رقم «صفر» يقول: «وما دامت محطة الاستقبال والرصد قد استطاعت تحديد مواقع عملائنا، فهي قادرةٌ أيضًا على تحديد موقعنا ... لهذا فقد طلبتُ منذ صباح اليوم وَقْف تبادُل الإشارات اللاسلكية مع عملائنا في جميع أنحاء العالم ... وبمعنًى آخر فإننا الآن معزولون عن العالم كله لا نستقبل أية أخبار أو معلومات ... ولا نرسلها ...» وقال رقم «صفر» مُختتمًا حديثه: «هذه الظروف من أخطرِ ما مرَّ بنا ... وإنني على استعداد الآن للاستماع إليكم!»

قالت «إلهام» على الفور: ألا نستطيعُ نحن تحديد مكان القاعدة التي تستمع إلينا ونقوم بتدميرها؟

رقم «صفر»: «لا ... لأن هذه المحطة تستقبل ولا ترسل ... ولو كانت تُرسِل إشاراتٍ لاستطعنا استقبالها على أجهزتنا وتحديد موقعها!»

رشيد: أليست هناك أية معلوماتٍ عن هذه القاعدة؟

رقم «صفر»: «لا شيء، حتى وجودها ذاته مجرد استنتاج.»

عثمان: وما هو المطلوب بالضبط؟

رقم «صفر»: «ليس هناك سوى حلٍّ واحدٍ ... أريد ثلاث مجموعاتٍ منكم تسافر؛ مجموعة إلى «باريس»، والثانية إلى «لندن»، والثالثة إلى «روما» ... أريد تحقيقًا عن الحوادث التي وقعَت هناك ... أريد خيطًا نسير خلفه للكشف عن الحقيقة ... ربما أكون مخطئًا في تصوُّري ... وجود قاعدةٍ استمعَت إلينا واستطاعت تحديد أماكن عملائنا في العواصم الثلاث ... وربما يكون العدوُّ الغامض قد راقبهم واستطاع معرفتَهم عن طريق المراقبة وليس عن طريق الاستماع ... المهم أن نُحدِّد الطريقة التي وصل بها العدوُّ المجهول إليهم!»

أحمد: إنني أميل إلى الاعتقاد بأن هناك قاعدةً لاسلكية تقوم بالاستماع إلينا ... ومعنى ذلك أن بقية عملائنا في مختلف بلدان العالم مُهدَّدون بالقتل!

ساد صمتٌ ثقيل قطعه رقم «صفر» قائلًا: «هذا كما قلتُ هو استنتاجي الأول ... فليس من المعقول أن يتم القضاء على عملائنا الثلاثة في يومٍ واحد ... إلا إذا كانت هناك قاعدةُ استماعٍ، حدَّدتْ أماكنهم عن طريق العقل الإلكتروني!»

أحمد: بداية يجب أن نسافر فورًا ... كل واحدٍ منا إلى مكانٍ من أماكن وجود العملاء لتحذيرهم ... ثم يتم التجمُّع بعد ذلك!

رقم «صفر»: «ستكون عندكم قائمة بالعملاء بعد عشر دقائق من الآن!»

أحمد: سنكون جاهزين للسفر خلال ساعةٍ واحدة!

خالد: ولكننا في حاجة إلى اجتماعٍ للتنسيق!

أحمد: إن اجتماعنا مستمرٌّ لمدة نصف ساعة، ثم نصفِ ساعةٍ أخرى للاستعداد للسفر!

رقم «صفر»: إنني أتمنَّى لكم التوفيق!

أحمد: إننا لن نتصل بالمقر السري بعد ذلك!

رقم «صفر»: «طبعًا ... إن الخطة والتنفيذ وكل شيء متروك لكم ... وسأكون في المقر السري للشياطين في القاهرة اعتبارًا من الغد لأستمع إليكم هناك!»

أحمد: سيدي ... لا داعي لأية مخاطرة ... وإنني أُفضِّل أن تتركنا وحدنا حتى نلتقي مرة أخرى في المقر السري!

رقم «صفر»: «سأسمع منك بعد نصف ساعة.» وسمع الشياطين صوت أقدام رقم «صفر» وهو يغادر قاعة الاجتماعات، وبدأ الشياطين في المناقشة ...

قال «أحمد»: خطَّتنا واضحة ... سيُسافر كل واحدٍ منكم إلى عاصمةٍ من العواصم، نُحدِّدها بعد أن نتسلَّم قائمة بأسماء العملاء من رقم «صفر»، وعليكم تحذير العملاء بمجرد وصولكم بأن يُغيِّروا أماكن إقامتهم على الفور ... فإذا وصل أحدكم إلى عاصمةٍ ما، ووجد العميل قد تمَّت تصفيته، فعليه أن يُحاوِل جمع معلومات عن عملية التصفية، وكيف تمَّت ... ومن يحصُلُ على قَدْرٍ أكبر من المعلومات سنرسل له من يساعده!

عثمان: وبالنسبة للعملاء الثلاثة الذين تمَّت تصفيتهم!

أحمد: سنبدأ بهم ... وقد حدَّدتُ لك أن تذهب إلى «باريس» ... و«رشيد» إلى «لندن»، وسأذهب أنا إلى «روما».

الرجل ذو المعطف الطويل!

بعد ساعات من الاجتماع الخطير في المقر السري، كانت الطائرة الجامبو «٧٤٧» تهبط بـ «أحمد» في مطار «ليوناردو دافنشي» الدولي في العاصمة الإيطالية «روما».

كان «أحمد» يستشعر الخطر المُحدِق بمنظمة الشياطين الـ «١٣» إذا استطاع العدوُّ الغامض تحديد المقر السري الذي تكلَّف إنشاؤه الملايين ... فإذا تعرَّض للتدمير فمن الصعب إنشاء مقرٍّ آخر، وتمزَّقتِ المنظمة ... لهذا كان مصرًّا على العثور على خيطٍ يقوده إلى العدوِّ المجهول ...

أعطى لسائق التاكسي عنوان فندق «رافايلُّو» فله فيه ذكرياتٌ قديمة، وهو يُحب نوع الطعام الذي يُقدِّمه المطعم، واستلقى «أحمد» في التاكسي الذي أخذ يشُق الطريق الواسع تحت وابل من المطر ... واستغرق «أحمد» في تفكيرٍ عميق ...

كان «كارديلِّي» عميلهم في «روما» من أكفأ رجال رقم «صفر».

كان مقتنعًا بالقضية العربية ... وكان يساعد منظَّمة الشياطين مساعداتٍ ممتازة ... ولم يتصوَّر «أحمد» كيف تم القضاء عليه ... فهو رجلٌ حذر ومدرَّب، ويجيد استخدام الأسلحة ... فكيف قُتل؟

إن المعلوماتِ التي ذكَرها رقم «صفر» عن قتل «كارديلِّي» قليلة.

ففي الشارع الرئيسي في «روما» وأمام إحدى دور السينما ساعة خروج المتفرجين ... سقط رجل على بعد أمتار من المدخل ... وعندما سقط، تقَّدم منه شخص ادَّعى أنه طبيب، وأخذ يحاول إسعافه ... ولكنه أعلن أمام الواقفين أن الرجل المصاب قد مات ... وعندما حضَرتْ سيارة الشرطة اختفى الطبيب ... واتضح أنه أثناء التظاهُر بإسعاف المصاب، قد جرده من كل ما يحمل، ولم تُعرَف شخصية القتيل إلا بعد مراجعة بصماته في سجلات الشرطة.

لقد كانت البقعة التي سقط فيها «كارديلِّي» بقعةً مظلمة ... ولم يستطع الشهود تحديد ملامح الطبيب المزيَّف ... ولكنهم أجمعوا على أنه كان طويل القامة يرتدي معطفًا ثقيلًا ويحمل حقيبة متوسِّطة الحجم ... وأنه كان أوَّل من اتجه إلى القتيل ...

وعندما وصل التاكسي إلى الفندق الصغير الذي يقع في قلب المدينة قُرب كنيسة «الدومو» كانت الساعة قد تجاوزَت الثانية بعد منتصف الليل ... ولم يكن أمام «أحمد» ما يفعلُه إلا أن يعاود دراسة الملف الذي زوَّده به رقم «صفر» عن الجريمة ...

وظل ساعةً كاملة يدرُس التفاصيل عدة مراتٍ لعله يجد شيئًا يَهديه ... ولكنه قرَّر في النهاية أن يستسلم للنوم ...

ظل الطقس باردًا وإن كانت الأمطار قد توقَّفتْ في صباح اليوم التالي ... وخرج «أحمد» فاستأجر سيارة من طراز «ألفا روميو» واتجه رأسًا إلى مقر مكتب «كارديلِّي» الذي كان يشغل طابقًا في إحدى العمارات الضخمة، وهو مكتب يعمل بالاستيراد والتصدير في الظاهر ... ولكن عمل «كارديلِّي» الأصلي كان تزويد رقم «صفر» بالمعلومات التي يطلُبها ... أو مطاردة أعداء منظَّمة الشياطين، أو تزويد المقر السري بالمعلومات الحديثة ...

كانت في ذهن «أحمد» خطةٌ بسيطة ... أنه يريد العثور أولًا على جهاز الإرسال الذي كان يستخدمه «كارديلِّي»، ثم يقوم بإرسال بعض الإشارات إلى المقر السري ... أن المقر السري يتلقى الإشارات كما أمَر رقم «صفر»، ولكن العدوَّ الغامض سوف يتلقَّى الإشارات ويعرف أن منظَّمة الشياطين قد وضعَت عميلًا آخر في «روما» وسوف تُطارِد هذا العميل أي «أحمد» ... وهكذا يمكن أن يضعه في أثر العدوِّ الغامض رغم تعرُّضه للخطر ...

دخل «أحمد» شركة «كارديلِّي» للاستيراد والتصدير بدعوى الرغبة في استيراد بعض المعدَّات من أمريكا ... وكان كل ما يريده أن يدرُس المكان ... ويُحدِّد موضع جهاز الإرسال ... ثم يعود ليسرقه ...

وبعد ساعة قضاها «أحمد» في المكتب توقَّع حسب نوع «الإيريال» ومساحة الغرفة أن يكون جهاز الإرسال في أحد الدواليب الضخمة الموجودة في مكتب «كارديلِّي» ... وغادر المكان ... ثم اتجه إلى دار السينما التي تمَّت أمامها جريمة اغتيال «كارديلِّي»، وألقى نظرةً وعاد لتناوُل غِذائه في مطعم «رافايلُّو» ... وفي وقت انتظار إحضار الطعام أخذ يتصفَّح الجرائد المحلية «لاستابا» و«كوريراد بلاسيرا» وغيرهما ... وقد لاحظ وجود صورة لـ «كارديلِّي» في صفحةٍ داخلية ... وأَسرعَ يقرأ ما كُتب عنها تحت عنوان: «هل كان لـ «كارديلِّي» نشاطٌ غير مشروع؟»

وقالت الجريدة إن محررها في دوائر الشرطة كتب عن احتمال اكتشاف أن «كارديلِّي» وهو رجل أعمالٍ ناجح كان يقوم بنشاطٍ سري مع منظَّمةٍ مجهولة ... وأن قتله كان جزءًا من صراع بين المنظَّمات الإجرامية ...

وأَحَس «أحمد» بالأسف لأن الشرطة لا تعرف الحقيقة؛ فمنظمة الشياطين الـ «١٣» ليست منظَّمةً إجرامية ... على العكس فهي تحارب الجريمة في كل مكان ...

وقالت الجريدة: «في الأغلب أن قاتل «كارديلِّي» هو الرجل ذو المعطف الطويل الذي ادَّعى أنه طبيب ... أو هو أحد شركائه ... وأن الهدف من اغتيال «كارديلِّي» كان مزدوجًا ... فهو أولًا: القضاء عليه ... وثانيًا: الاستيلاء على ما يحمل من أوراق قد تكشف عن المنظمة التي يتبعها ...»

ووضع «أحمد» الصحيفة جانبًا، وأدرك أن منظمة الشياطين الـ «١٣» تتعرض لأول مرة لخطرٍ حقيقي، فإذا كان «كارديلِّي» يحمل أوراقًا هامَّة، فإن العدوَّ الغامض يمكنه فعلًا كَشْف منظَّمة الشياطين.

وجاء الطعام الذي يُحبه «أحمد»؛ مكرونة اسباجتي بالصلصة، واللحم المشوي، والسلطة الخضراء ... ولكن رغم إحساسه بالجوع ... فإنه كان يبتلع الطعام بصعوبة فقد كان ذهنه مشغولًا ... ومشاعره حزينة، وأعصابه مُتوتِّرة.

صَعِد «أحمد» إلى غرفته ... فتح حقيبته وأخرج منها أدوات السطو ... مجموعة من المفاتيح والآلات الدقيقة ... حذاء من الكاوتشوك ... قفَّازًا ... بطارية صغيرة ... جهازًا إلكترونيًّا للإنذار ... وكان معه ورقةٌ صغيرة ضمن المِلَف فيها أرقام فتح الخزانة السرية لـ «كارديلِّي». استمع إلى الموسيقى لتخفيف التوتُّر لحظات، عندما دق جرس التليفون كان المتحدث هو رقم «صفر» ...

قال على الفور: «أتحدث إليك من «لندن»، ليست هناك معلوماتٌ كافية عن حادث الانفجار ... عميلنا «سميث» تلقَّى هديةً كان قد طلبها من محلات «هارودز» ... وعندما فتحها انفجَرتْ عُبْوةٌ ناسفة قضت عليه في الحال ... ولكن لحسن الحظ استطعنا الوصول إلى الوثائق الخاصة بالشياطين فلم ينكشف شيء ... ما هي أخبارك؟»

أحمد: سأقوم بالسطو الليلة على مكتب «كارديلِّي» في محاولة للوصول إلى الوثائق أيضًا ... وفي نفس الوقت الحصول على جهاز اللاسلكي الذي عنده ... سأقوم بإرسال إشارة إلى المقر السري ... سيكتشف العدوُّ الغامض المكان ويُحاول اصطيادي!

صمت رقم «صفر» لحظات ثم قال: «خذ حذرك ... إننا لم نقابل عدوًّا قبل الآن بهذا الدهاء!»

ليلة الأحد!

كعادة المدن الأوروبية ... تُغلِق المحلات أبوابها منذ منتصف نهار السبت ... وتبدو الشوارع خاليةً إلا من الذاهبين إلى الرحلات الخلوية ... أو دور السينما ... أو المقاهي ومحلات السهر ...

استَعَدَّ «أحمد» لعملية الليل استعدادًا خاصًّا ... فقد كان يعمل وحده ولا أحد من زملائه يساعده ... أو يغطِّيه ... ووضع في تقديره أن يكون مراقبًا أو متبوعًا ... وهكذا ذهب إلى مقهى «الليدو» حيث يُوجد بجواره مكتبُ سمسارٍ لتأجير الشقق المفروشة ... وعرض عليه السمسار عددًا من الشقق، فاختار شقة في الدور الثاني تُطِل على مَنورٍ يمكن القفز إليه إذا هاجمه أحد في الشَّقة ... وكان في الشَّقة المجاورة له طالب يَدرُس الموسيقى ... فيقضي أغلب الوقت يتمرَّن على البيانو ... مما كان يتيح «لأحمد» فرصةً طيبة لاستخدام جهاز اللاسلكي، والدق عليه دون أن يلفتَ الأنظار ...

وقرَّر «أحمد» أن ينقل جهاز اللاسلكي إلى هذه الشَّقة إذا استطاع الاستيلاء عليه ... فوَضْعُ جهازٍ لاسلكي في الفندق سيلفتُ إليه الأنظار ...

هَبَطَ مساءٌ عاصف على المدينة الضيقة «روما»، وركب «أحمد» سيارته المستأجرة ماركة «ألفا روميو»، وقد ارتدى قبَّعةً من الصوف الثقيل، ولَفَّ رقبته بكوفية تُخفي بعض ملامحه ... وانطلق في منتصف الساعة العاشرة، وقد اختفى المارة من الشوارع؛ لذا استطاع أن يقود سيارته مسرعًا حتى وصل إلى العمارة التي يقع فيها مكتب «كارديلِّي» ...

كان يسودها الهدوء التام، ويَلُفُّها الظلام ... فهي عمارةُ مكاتبَ وليس فيها سكَّان ...

دار «أحمد» حول المبنى ثلاث مرات ... ثم اختار شارعًا جانبيًّا وضع فيه سيارتَه، ونزل ومشى بجوار الجدران، فبدا في ملابسه السوداء كأنه قطعةٌ متحركة من الظلام.

دفع باب العمارة الحديدي فأصدر صوتًا عاليًا، ولكن ضجَّة الريح لم تجعله واضحًا ... وأغلَق الباب خلفه بهدوء ... ثم اتجه إلى السلالم، وأخذ يَصعَد مسرعًا على ضَوء بطاريته الصغيرة، حتى توقَّف في الطابق الرابع حيث يقع المكتب ... وظل واقفًا لحظاتٍ يستَردُّ أنفاسه المتسارعة ... ويَتَسمَّع إلى أي صوتٍ غريب ... ولكن لم يكن هناك سوى صوت الرياح والأمطار ... فتقدَّم من الباب ... وأخرج محفظة أوراقٍ صغيرة ثم قام بعدة محاولات ... وانفتح الباب فدخل وأغلَقه خلفه ... ومرةً أخرى توقَّف وأخذ يَسمَع ...

وعلى ضوء البطارية فتح باب مكتب «كارديلِّي» ودخل، وأخذ يُطلِق شعاع البطارية على ثلاثةِ دواليبَ كبيرة، واختار أقربها إلى شرفة المكتب حيث شاهد «إيريال» اللاسلكي.

كان فتح الدولاب سهلًا ... فقد كان مع «أحمد» الرقم الكودي للفتح ... ووجد الخزانة داخل الدولاب كما توقَّع، ولم تكن هناك مشكلة في فتحها ... فقد كانت معه الأرقام التي زوَّده بها رقم «صفر» ... وفتح الخزانة ... وأطلَق شعاع بطاريته داخلها، وأحس بقلبه يخفق مسرورًا؛ لأن جهاز اللاسلكي النادر كان بداخلها ... وأَخرجَه «أحمد» ثم أخذ يبحث عن المستندات الخاصة بالأرقام الشفرية ... والرسائل والوثائق المتعلِّقة بعمل «كارديلِّي» مع منظمة الشياطين الـ «١٣».

ووجد «أحمد» في الدولاب حقيبةً وضع فيها كل شيء ... ثم فكَّر في أن الإيريال الخاص باللاسلكي لا بد أن يأخذه أيضًا؛ فهو من نوعٍ خاص ... وهكذا فتح باب الشُّرفة، وتحت لسع الرياح الباردة وقسوة المطر أخذ يعمل بسرعةٍ في فك الإيريال ... وما كاد يجتاز باب الشُّرفة حتى أَحَس بشعورٍ قوي بالتوتُّر ... وبأنَّ خطرًا مجهولًا ينتظره في المكتب ... توقَّف لحظات ... ثم أزاح الستار جانبًا بهدوءٍ ونظر ... وفي الظلام شاهَد شبحًا يدخُل من الباب ويُطلِق شعاعًا من الضوء من بطاريةٍ يدوية ...

الْتَصَق «أحمد» بالستائر محاولًا ألا يبدو باب الشُّرفة مفتوحًا ... وأخذ يراقب القادم الذي كان يتحدث إلى شخصٍ آخر معه ...

وكان «أحمد» الذي تدرَّب على مثل هذه المهامِّ والمآزقِ طويلًا، قد أعاد إغلاق باب الغرفة والخزانة والدولاب ... ولكن الحقيبة التي كان بها جهاز اللاسلكي، والمستندات كانت موضوعة بجوار الدولاب ... وخَشِي أن تلفت نظَر الرجلَين!

كان أحد الرجلَين يقول للآخر: إن اليوم هو أفضل موعدٍ لدخول المكتب ...

قال الآخر: المهم أن نعثُر على جهاز اللاسلكي، والمستندات، والوثائق الخاصة بـ «كارديلِّي»، وبهذه المنظمة السرية التي كان يعمل بها!

الأول: علينا أن نفتح الدواليب الثلاثة حتى نعثُر على الخزانة ... وقد لا نجدها فقد تكون مخفيةً في أحد الجدران!

الثاني: دعنا نعمل بسرعةٍ ... فما تزال أمامنا مهمةٌ شاقة!

كان الرجلان يبدُوان كشَبحَين في الظلام ... ولم يكن في استطاعة «أحمد» أن يتبيَّن ملامحهما، ولكن نبرات الصوت هي التي حَفظَها ... وذلك شيءٌ مهم بالنسبة لعمله!

قال أحد الرجلَين: هناك تيارٌ من الهواء يأتي من الشُّرفة ... إن السكرتيرة مُهمِلة فقد نَسِيَت إغلاق الشُّرفة!

وأَحسَّ «أحمد» بتوتُّره يزداد ... وشاهَد أحد الشبحَين يقترب من باب الشُّرفة ليُغلِقه ... ولو فعل هذا لقُضِيَ على «أحمد» بالبقاء في الشُّرفة، مع احتمال ضياع الحقيبة ... ولهذا أخرج مسدَّسه، وما كاد الرجل يظهر، حتى ضربه ضربةً ساحقة ... وترنَّح الرجل على الفور وسقط ...

وصاح الآخر: ما هذا؟

ثم اتجه ناحية زميله ... وقفز «أحمد» إلى وسط الغرفة، ثم ارتمى على الأرض عندما سمع فرقعة سلاح وانطلاق رصاصةٍ صامتة ارتطمَت بأحد الدواليب وأحدثَت دويًّا عاليًا.

وفي الظلام مدَّ «أحمد» يده فأمسك بالحقيبة، ثم انطلَق ناحية الباب، ولكن الرجل اعترض طريقه رافعًا المسدَّس صائحًا: قف مكانك!

ولكن «أحمد» طوَّح بالحقيبة في وجه الرجل، فأصابَتْه فسقط على الأرض، وانطلقَت من مسدَّسه رصاصةٌ أخرى أحدثَت دويًّا آخر ...

توقَّف «أحمد» لحظاتٍ يلتقط أنفاسه المتسارعة ... ثم وضع الحقيبة، وأطلَق شعاع بطاريته على الرجلَين، كان الأول الذي بجوار الباب عملاقًا بَدينًا يُشبه المصارعين، وانحنى «أحمد» عليه، وفتَّشَه سريعًا ... واستولى على ما وجدَه معه من أوراق ... وانتزع منه مسدَّسه ... ثم قام بنفس العملية بالنسبة للآخر ...

فكَّر «أحمد» لحظات ... هل يقوم بفك الإيريال ويأخذه معه ... إن الوقت لا يسمح بذلك ... وفكَّر أن غدًا هو الأحد ... وليست هناك محلاتٌ مفتوحة لشراء إيريال آخر ... وقد لا يجد النوع الذي يريده ... وهكذا عاد إلى الشُّرفة وأخرج مِفكًّا من جيبه، ثم أخذ يعمل بسرعةٍ في فك الهوائي «الإيريال»، وأخذ يجمع أجزاءه، ثم نظر من الشُّرفة ... وشاهد سيارةً ضخمة تقف أمام باب العمارة ... لم يشُكَّ لحظةً أنها سيارة العصابة ...

مهمةٌ سريعة لعثمان!

عاد «أحمد» إلى الغرفة وهو يفكِّر كيف يخرج من العمارة دون أن يلفت نظر مَن في السيارة ... من المؤكَّد أن فيها على الأقل سائقًا في انتظار الرجلَين ... وأسرع إلى الجانب الآخر من العمارة ... وككل العمارات القديمة كان هناك السُّلَّم الخلفي ... وهكذا نزل مسرعًا، ووجد نفسه في الشارع الجانبي حيث كانت سيارته في انتظاره ...

قطَع شوارع المدينة الغارقة في المطر مسرعًا ... ووصل إلى الشَّقة الجديدة الصغيرة في شارع «لورنزو» ... واستمع وهو على السُّلَّم إلى موسيقى جاره الشاب، وهو يدق أصابع البيانو رغم الليل المتأخر ...

دخل «أحمد» إلى الشَّقة، وأسرع بتشغيل جهاز التدفئة؛ فقد كانت ملابسه مبلَّلة، والبردُ صاعق ... ولكن نجاحه في مهمَّته جعله سعيدًا ... كان جائعًا، فأخرج بعض الأطعمة المحفوظة ووضعها على النار، ثم أسرع يُغير ملابسه المبتلَّة ... وجلس يتناول عَشاءَه وهو يفكِّر في الأحداث الماضية ... ولم يكَد ينتهي من الطعام حتى أخرج مجموعة من الأوراق التي حصل عليها من الرجلَين في مكتب «كارديلِّي» ...

كانت أغلب الأوراق خاصة بإثبات شخصية الرجلَين ... وبعض النقود ... ولكن ما لفت نظر «أحمد» هو «كارت» من البلاستيك مثقَّب بطريقةٍ خاصة ... وكان كلٌّ من الرجلَين يحمل نفس الكارت ... وبالطبع كان من الممكن أن يكون الكارت خاصًّا ببنكٍ من البنوك ... أو بحسابٍ في شركة، أو غير ذلك من الكروت التي انتشَرتْ في أمريكا وأوروبا بديلًا عن النقود ... ولكن في هذه الحالة فإن الكارت عادةً يحمل اسم البنك أو الشركة ... أمَّا هذا الكارت فلم تكن عليه أية علاماتٍ خاصة ... ما عدا شكلًا بسيطًا جدًّا مضغوط في البلاستيك يشبه جناح الطائر ... أو موجة البحر ...

ظل «أحمد» يفكِّر في أي شيءٍ يمكن أن يهديه إلى معنى هذا الكارت، ولكن دون أن يصل إلى شيء ... وقرَّر أن يُرسِل الكارت إلى المقر السري لمعرفة مدى أهميته ... ولكنَّ ذلك كان يستغرق بعض الوقت ...

اختبَر «أحمد» جهاز الإرسال ... كان قد تمرَّن عليه في المقر السري، ويعرف كل أسراره ... وهو جهاز من طرازٍ نادر قوي ... وفكَّر «أحمد» في تركيب الهوائي «الإيريال»، ولكن الوقت كان متأخرًا فقرَّر تأجيل هذه المهمة للصباح.

اتصل «أحمد» بـ «عثمان» في باريس ... واستمع منه إلى آخر المعلومات التي وصلَته ... وروى له كل شيء ... ثم طلب منه أن يحضُر إلى «روما» بعد أن يستأذن رقم «صفر»؛ لأنه يريد أن يقوم معه بمهمةٍ عاجلة ...

عثمان: على كل حالٍ لم يعُد عندي ما أفعلُه في «باريس» ... وأنا على استعداد للحضور.

أحمد: من الأفضل أن تنتظر حتى يتصلَ بك رقم «صفر»، ثم اتصل بي!

عثمان: إنه يتصل بي كل ليلة تقريبًا!

أحمد: إذن دعه يعرف أنني أعيش بين الفندق وبين الشَّقة التي استأجرتُها في شارع «لورنزو»، وأَعطِه عنواني ورقم التليفون ...

وتمنى الزميلان كلٌّ منهما للآخر التوفيق، ثم استغرق «أحمد» في النوم ...

وفي الصباح الباكر كان «أحمد» قد أتمَّ تركيب الهوائي الضخم على سطح العمارة، ثم أوصل السلك إلى شقَّته ... وأصبح جهاز الإرسال صالحًا للاستعمال ... وعندما أشرفَت الساعة على التاسعة ... بدأ أول فترة إرسالٍ موجَّهة إلى المقر السري للشياطين الـ ١٣ ...

كان يعرف أن الرسائل لن تصل طبعًا؛ فقد أغلق رقم «صفر» دائرة الاتصال ... وكان كل ما يرجوه أن يُحدِّد العدوُّ الغامض مكانه ثم يهاجمه ... وكانت هذه هي الطريقة الوحيدة للاتصال بينه وبين هذا العدوِّ المجهول الذي اكتشف دائرة الاتصال بين «ش. ك. س» وعملاء رقم «صفر» في جميع أنحاء العالم.

ظل «أحمد» طوال ذلك اليوم في الشَّقة، يُرسِل إشاراته كل ثلاثِ ساعات ... ثم غادر المكان إلى سيارته حيث تَمَشَّى قليلًا، ثم ذهب إلى فندق «رافايلُّو» حيث تناول عَشاءَه ...

مرَّ يوم الأحد هادئًا كله ... وعندما عاد «أحمد» إلى الشَّقة في العاشرة ليلًا، كانت في انتظاره مفاجأة؛ فقد وجد «عثمان» واقفًا أمام العمارة في انتظاره ... كان لقاءً حارًّا بين الزميلَين ... ودخلا الشَّقة معًا.

وقال «عثمان»: لقد تلقَّيتُ موافقة رقم «صفر» منذ ساعات، وحاولتُ الاتصال بك، ولكن تليفونك لم يكن يَرُد!

أحمد: لقد غادرتُ الشَّقة في المساء حيث قضيتُ بعض الوقت في الشارع، ثم عُدتُ في موعد العشاء!

عثمان: إن رقم «صفر» مهتم ...

ولم يكمل جملته؛ فقد دق جرس التليفون ولم يكن هناك من يعرف رقم «أحمد» إلا رقم «صفر» ... وفعلًا كان المتحدث هو رقم «صفر» قائلًا: «هل وصل عثمان؟»

أحمد: نعم ... إنه معي!

رقم «صفر»: «ما هي المهمة العاجلة التي تريده أن يقوم بها؟»

أحمد: لقد اصطدمتُ برجلَين وأنا أنقل جهاز الإرسال من مكتب «كارديلِّي»، وأخذتُ كل الأوراق التي كانت معهما ... وهي أوراقٌ خاصة بإثبات الشخصية ... ولكني وجدتُ مع كلٍّ منهما «كارت» ... من البلاستيك به ثقوب ... وليس من نوع الكروت التي تُستخدم في البنوك والشركات ... وأظن أن «الكارت» يُستخدَم لتشغيل ماكينةٍ هامة ... ولعله يحمل شفرةً معينة للاتصال ... ويهمُّني أن أعرف ما هو نوع الشفرة!

رقم «صفر»: «هذا ضروري جدًّا ... فهناك أجهزةٌ كثيرة جدًّا لا تعمل إلا بهذا الكارت الشفري!»

أحمد: لهذا سوف أُرسل أحد الكارتَين مع «عثمان» إلى المقر السري، لعلهم يتمكَّنون من معرفة طريقة استخدامه، وفي أي شيء يُستخدَم!

رقم «صفر»: «وأَرسِل أيضًا أوراق الرجلَين، حتى تُوضَع المعلومات الخاصة بهما في أرشيف «ش. ك. س»!»

أحمد: سوف أفعل يا سيدي!

رقم «صفر»: «خذ هذه الأرقام التليفونية عندك، فإذا أحسستَ أن هناك تحركاتٍ حولك، فاتَّصِل بي، إن بعضها في باريس، وبعضها في لندن، وبعضها في «روما»!»

وكتَب «أحمد» الأرقام التي أملاها رقم «صفر»، ثم تمنَّى له ليلةً طيبة، ووضَع سمَّاعة التليفون.

قضى الصديقان ليلةً طريفة ... فقد دعاهما عازف البيانو الشاب للاستماع إليه ... وقد كان بارعًا حقًّا في العزف، خاصةً عندما طلب منه «عثمان» أن يعزف له بعض مقطوعات «بيتهوفن»، وعندما أشرفَت الساعة على منتصف الليل، ودَّعَاه بحرارة ...

وفي السادسة صباحًا أيقظ «أحمد» «عثمان»، ثم أخذَه بجواره في السيارة «ألفا روميو»، وأسرع به إلى مطار «ليوناردو دافنشي» وهو مطار روما الدولي، حيث ركب أول طيارة إلى مطار القاهرة ... أقرب مطار إلى «ش. ك. س» ...

حديث من القاهرة!

قرَّر «أحمد» أن يقوم بنزهة في شوارع «روما» في هذا الصباح المبكِّر ... وعندما وصل إلى قلب المدينة ... لفَت نظره إعلانٌ عن فرقة الباليه المصري تُقدِّم أوبرا «عايدة» على مسرح «لاسكالا» ... ووجَد أنها فرصةٌ طيبة لمشاهدة هذه الأوبرا الشهيرة التي أَلَّفها الموسيقار الإيطالي «فردي» خصوصًا بمناسبة افتتاح قناة السويس. لم يكن شبَّاك التذاكر قد فُتح بعدُ، فاختار مبنًى قريبًا وركَن سيارته، وجلس يتناول إفطاره، ويقرأ جرائد الصباح ... لم تكن هناك أي أخبارٍ جديدة عن مقتل «كارديلِّي» ... ولا عن عملية السطو التي قام بها على المكتب ... وفي الأغلب أن الجرائد لم تلحق الخبر ...

عندما أعلنَتِ الساعة العاشرة قام فدفَع الحساب ثم اتجه إلى شبَّاك الحَجْز، واشترى تذكرةً لحفلة الليلة التالية ... ثم قاد سيارته عائدًا إلى شقَّته في شارع «لورنزو» ... نظر حولَه فلم يجد شيئًا مريبًا، فصَعِد إلى الشَّقة ...

وفي منتصف النهار بدأ إرساله إلى «ش. ك. س»، وقال فيها: «لقد عثرتُ على أسرارٍ خطيرة تتعلق بمقتل «كارديلِّي» أريد مساعدةً عاجلة!»

ثم أضاف سطرًا خطيرًا يُحدِّد مكانه ... «إنني أنزل في شقَّة في شارع «لورنزو» رقم ٣٨، وفي انتظار ردِّكُم العاجل» ...

كان يعرف أنه بهذا السطر الأخير قد وضَع نفسه في فَم الأسد ... وبعد تفكيرٍ سريع تمنَّى لو أنه لم يُضِف هذا السطر الأخير الذي يُحدِّد مكانه، حتى يعود «عثمان» ويعرف ما في الكارت البلاستيك من معلومات ... ولكنْ كان أوان التراجُع قد فات ...

في الساعة الثالثة، وبينما هو يتناول غِذاءه، دقَّ جرس التليفون، وتوقَّع أن يكون رقم «صفر» أو «عثمان»، ولكن المتحدِّث كان رجلًا خشن الصوت، وكان يسأل: هل السنيور «مورو» موجود؟

ردَّ «أحمد»: ليس هناك من يُدعى «مورو»!

الرجل: أليس هذا المنزل رقم ٣٨ شارع «لورنزو»؟

أحمد: نعم العنوان صحيح!

الرجل: لقد كان السنيور «مورو» يسكن في هذا المنزل!

أحمد: منذ متى؟

الرجل: منذ ثلاثة شهور!

أحمد: لعلَّه انتقل إلى مكانٍ آخر!

الرجل: آسفٌ إذا أضعتُ وقتكَ، شكرًا!

كان «أحمد» متأكدًا أن المتحدِّث أحد أفراد العصابة المجهولة، وأنه يريد أن يتأكد من وجوده، فهو سيكتشف من خلال المحادثة «اللُّكْنة» أو «اللهجة» التي يتحدَّث بها الشخص. وعادةً فإن الذين يتحدَّثون لغةً أجنبية ليست لغتهم الأصلية تبدو لهم «لُكْنَة» واضحةٌ يُسمُّونها باللغة الإنجليزية «أكسنت» …

وكان متأكدًا أيضًا أن الرجل قد اتصل ببقية الشقَق التي في العمارة؛ لأن «أحمد» لم يُحدِّد في رسالته رقم الشَّقة … وحتى يكون متأكدًا تمامًا، فقد ذهب إلى الشَّقة المقابلة التي يسكنها عازف البيانو ودقَّ الجرس …

فتح الشابُّ الباب، وكان واضحًا عليه أثَر السهر الطويل، وقال «أحمد» ضاحكًا: آسفٌ لإزعاجك … ولكن هل تحدَّث معك شخصٌ يسألُ عن السنيور «مورو»؟

ردَّ العازف ساخطًا: نعم … إن هذا الرجل السخيف أيقظَني من نومي للسؤال عن شخصٍ غير موجود!

أحمد: وأنا أزعجتُكَ أيضًا!

الشاب: ولكن من هو هذا «المورو» الذي يسألون عنه؟

أحمد: إنه شخصٌ وهميٌّ!

ونظَر العازف الشابُّ إلى «أحمد» في دهشة، و«أحمد» يعود إلى شقَّته وقد تأكَّد من صحة ما وصل إليه!

بدأ «أحمد» على الفور استعداده للصدام القادم مع العصابة … كانت في حقيبته مجموعةٌ من الأسلحة اختار من بينها بندقيةً سريعة الطلقات … صامتة الصوت … وضعها بحيث تكون فُوَّهتُها في اتجاه باب الشَّقة … ويستطيع وهو في فراشه أن يضغط الزناد فتُطلِق رصاصها على أي شخصٍ يدخل من الباب … وأعَد مسدَّسًا صغيرًا ربطَه

في ساقه ... ومسدَّسًا ضخمًا وضعه بجواره ... ثم قام إلى شُرفات الشَّقة فأحكم إغلاقها، وجلس ينتظر.

مرَّت الساعات دون أن يحدُث شيء ... تناول غِذاءَه ثم نام ... واستيقَظ دون أن يُحسَّ أن شيئًا غير عادي يدور حوله ... لا أصوات ولا محادثاتٌ تليفونية ...

وعندما هبط المساءُ قرَّر أن يذهب إلى الفندق لتناوُل عَشائه هناك ... ونزل ... كان الطقس رديئًا للغاية ... البرد يلسَع الوجوه ... المطر يتساقط بعنف وقوة ... السيارات تسير ببطءٍ شديدٍ خوفًا من الانزلاق والحوادث ...

كان «أحمد» يراقب السيارات حوله لعله يعثُر على سيارة تتبعه ... ولكن لم يستطع تحديدَ شيء ... فقد كانت السيارة التي تسير خلفه أو بجواره تتغيَّر باستمرار.

قرَّر «أحمد» أن يقضي الليلة في فندق «رافايلُّو» مُفضِّلًا مشاهدة التليفزيون على الخروج في الليل البارد العاصف ... وفي العاشرة ليلًا رنَّ جرَس التليفون ... وأَسرعَ إليه ... كان المتحدِّث هو «عثمان».

قال عثمان: أتحدَّث إليك من القاهرة في انتظار إقلاع الطائرة المتجهة إلى «روما» ... لا تتحرَّكْ من مكانك حتى آتي إليك ... هناك أخبارٌ في غاية الأهمية عن «الكارت البلاستيك»!

أحمد: هل فكُّوا لك رموزَ الشفرة الخاصة به؟

عثمان: نعم ... لقد قام خبراء المعمل في «ش. ك. س» بحل رموز الكارت ... وهم يعتقدون أنه مِن الممكن باستخدام هذا الكارت أن نكشفَ أسرار العدوِّ الغامض.

أحمد: إلى هذه الدرجة؟

عثمان: نعم ... لهذا فإن رقم «صفر» يرجو أن تظل في مكانك حتى أنضم إليك ... ففي انتظارنا مهمةٌ خطيرة، وسينضم إلينا «رشيد» أيضًا ... ولعلَّه تَحرك الآن من «لندن».

أحمد: هل يعرف «رشيد» طريقي؟

عثمان: لقد أعطيتُه كل المعلومات الخاصة بك في «روما»، وهو يعرف الفندق والشَّقة المفروشة!

أحمد: متى تتحرَّك طائرتك؟

عثمان: بعد ساعة.

أحمد: إن المسافة تقطعها الطائرة من «القاهرة» إلى «روما» في ثلاث ساعات ونصف تقريبًا، فإذا حسبنا فرق التوقيت تصل في الواحدة والنصف تقريبًا إلى «روما» وسوف أنتظرك في المطار!

عثمان: لا داعي ... سآخذ تاكسيًا!

أحمد: لا ... إنني مشتاقٌ إلى معرفة أخبارك.

عثمان: فليكن هذا ... خذ حذرك!

كان أمام «أحمد» نحو أربعِ ساعاتٍ لحين حضور «عثمان»، وخَشِي أن ينام، فقرَّر الخروج وتناوُل العشاء في أحد المطاعم ثم التوجُّه بعد ذلك إلى المطار ...

تأكَّد من المسدَّس الضخم الذي يُعلِّقه تحت ذراعه الأيسر، والصغير المربوط على ساقه ... ثم ارتدَى «جاكت» من الجلد السميك، وغادَر الفندق متجهًا إلى سيارته «ألفا روميو» الواقفة في الشارع المجاور.

الشفرة الخطيرة!

أدار «أحمد» مُحرِّك السيارة وانتظر قليلًا ... كان البرد قارسًا، والمحرك في حاجة إلى تسخين ... وعندما قفَز مؤشِّر الحرارة إلى درجةٍ مناسبة انطلق «أحمد» ... وبدا له أن السيارة ليست على ما يُرام، ولكنه لم يشُكَّ في شيء، وأخذ ينظر حوله ... وخُيِّل إليه أن سيارةً سوداء من طراز «فيراري» السريع قد تحرَّكتْ بعده ... فاختار بعض الشوارع المزدحمة، وبعد فترة تأكَّد أن السيارة تتبعه فعلًا ... وبدأَت أعصابه تتحفَّز لمغامرةٍ قادمة ... وفَهِم أنهم في انتظار أن يصل إلى مكانٍ بعيد نسبيًّا لبدء المطاردة ... وقرَّر أن يُعطيَهم الفرصة ... فقد بدأ الصدام.

انطلَق في طريق المطار ... وعندما زاد من سرعة السيارة، زادت السيارة «الفيراري» من سرعتها ... ثم أدرك «أحمد» لماذا أحسَّ أن السيارة ليست على ما يُرام ... فقد كانت الفرامل تضعُف تدريجيًّا ... وبحكم خبرته، والدراسات التي تلقَّاها في المقر السري، فقد تأكَّد أن يدًا عبثَت بخرطوم «الباكم»، وهو الذي يُوصل الزيت إلى الفرامل ... وأنهم لم يقطعوا الخرطوم تمامًا، ولكن اكتفوا بقطع جزءٍ صغير منه حتى لا يكتشفه إلَّا بعد فوات الأوان ...

كانت السيارة تنطلق في طريق المطار المظلم الواسع بسرعة مائة وعشرة كيلومترات في الساعة ... وكان متأكدًا أنه لو حاول إيقافها بالفرامل فإنها لن تقف ... وأن أي عقبةٍ في طريقه سوف تؤدِّي به إلى الموت ... وعليه أن يوقف السيارة تدريجيًّا.

كانوا رجالًا من طراز محترفي الإجرام، هكذا فكَّر «أحمد»؛ فهو الآن بين خيارَين لا ثالث لهما ... إما أن يسرع فيموت في حادثةٍ مؤكَّدة ... وإما أن يُوقف السيارة تدريجيًّا حتى يلحقوا به ...

ورفع «أحمد» قدَمه من فوق بدَّال البنزين ... وأخذَت السيارة تُهدِّئ من سرعتها تدريجيًّا ... واقتربَت السيارة «الفيراري» بسرعة ... كان من الأفضل لهم طبعًا أن يحصُلوا عليه حيًّا ... لم يكن له أي سيطرة على السيارة بدون فرامل؛ لهذا تركها تتوقَّف تدريجيًّا ... ثم انتقل من مقعد السائق إلى المقعد المجاور، وما كادت السيارة أن تقف حتى فتح الباب وقفز، وسار بجوار السيارة مُنحنيًا ... وتوقَّفتِ «الفيراري» بجوار الـ «ألفا روميو» تمامًا ... ودار «أحمد» خلف السيارة وقد أمسك بمسدَّسه الضخم، وأطلق رصاصتَين استقرَّت كلٌّ منهما في إطار السيارة «الفيراري».

عندما توقَّفتِ السيارة كان ثلاثة رجالٍ ينزلون منها، ثم ألقَوا بأنفسهم على الأرض، بينما انطلق «أحمد» يجري تحت أشجار الطريق ... ثم توقَّف خلف شجرةٍ ضخمة، وأخذ يراقب الموقف ... كان الثلاثة يتلفَّتون حولهم بحثًا عنه وقد شلَّتهم المفاجأة ... فتسلَّل «أحمد» وعاد ينطلق مسرعًا مستترًا بالأشجار حتى تأكَّد أنهم لن يعثروا عليه فخرج إلى الطريق ... وأخذ يُشير إلى السيارات المارَّة ...

كانت السيارات قليلةً في هذه الساعة المتأخرة من الليل ... وأخيرًا توقَّفتْ سيارةٌ فانحنى «أحمد» عندما فتح له الرجل الزجاج، وقال: إنني ذاهب إلى المطار.

قال الرجل: وأنا أيضًا!

فتح «أحمد» الباب ودخل محاذرًا، وهو يضع يده على مسدَّسه انتظارًا لأية مفاجأة ... ولكن الرجل بدا مسالمًا وهو يسأل «أحمد».

الرجل: هل أنت مسافر؟

أحمد: لا يا سيدي ... إنني في انتظار صديق!

الرجل: وكيف وصلتَ إلى هذا المكان في هذا الجو السيئ؟

أحمد: لقد تعطَّلتْ سيارتي في الطريق.

صمَت الرجل قليلًا ثم قال: سيارة «ألفا روميو» أم سيارة «فيراري»؟

أحسَّ «أحمد» ببعض التوتُّر، وبدلًا من أن يجيب سأل: ولماذا «ألفا روميو» و«فيراري»؟

الرجل: إن رجال الشرطة يُحيطون بسيارتَين من هذا الطراز!

اضطر «أحمد» إلى الكذب قائلًا: إن سيارتي «فيات» صغيرة ... ولم أستطع إدارة المحرك بسبب البرد الشديد!

وضحك الرجل وقال: إن السيارات الصغيرة كالأطفال لا تحتمل البرد!

وصمَت الرجل لحظاتٍ ثم قال: هل تعرف لماذا توقَّفتُ لتركب؟

«أحمد»: مجرد أنك رجلٌ طيب!

الرجل: ليس هذا فقط، ولكن لأنك تُشْبه ابني الذي مات!

أَحسَّ «أحمد» بحزنٍ يعتصر قلبه، وقال: آسفٌ جدًّا يا سيدي أن أُذكِّرك بهذا!

الرجل: على العكس ... إنني أشعُر بالسعادة لأنني رأيتُ ابني هذه الليلة ... وأرجو إذا كنتَ ستبقى في «روما» فترةً أخرى أن تزورني ... إن زوجتي سوف تَسعَد بأن تتناول الغَداء عندنا!

أحمد: شكرًا لك يا سيدي ... ولكن كيف عرفتَ أنني لستُ إيطاليًّا؟

الرجل: إن شكلكَ قريبٌ من الإيطاليين ولكنكَ لستَ إيطاليًّا!

عاد الصمت يلُفُّ السيارة المنطلقة، واقتربا من المطار، وأخرج الرجل «كارت» ... من جيبه أعطاه لـ «أحمد» قائلًا: لا تنسى أن تتصل بي!

أحمد: أَعِدُك بذلك يا سيدي ... وشكرًا لكَ.

وصلَت السيارة إلى المطار، وافترقا بعد تحيةٍ حارة من «أحمد» للرجل.

كان قد بقي بعض الوقت على وصول الطائرة التي تُقل «عثمان»، فاتجه «أحمد» إلى الكافيتريا وطلب شايًا، وبعض الفطائر، وجلس يفكِّر في الليلة وما جرى فيها ...

أعلنَت الاستعلامات من مُكبِّر الصوت عن وصول الطائرة القادمة من القاهرة، فتحرَّك «أحمد» ووقف عند باب الانتظار ... وأخذ يُدقِّق النظر في القادمين ... ووجد «عثمان» أول مَن خرج؛ فلم يكن يحمل حقائبَ ولهذا لم يتأخر.

تصافَح الزميلان، وقال «عثمان»: إن الكارت البلاستيك هو خبطة العمر بالنسبة لك!

أحمد: كيف؟

عثمان: إن هذا الكارت البسيط يحمل شفرةً خطيرةً عن العدوِّ الغامض سوف يقودنا إليه!

أحمد: هل هذا معقول؟

عثمان: إن قسم الشفرة في المقر السري استطاع أن يصل إلى سر الكارت البلاستيك، وستكون مفاجأةً لك أن تعلم أن العدوَّ الغامض هو سفينةُ تجسُّسٍ إلكترونية، تقف عند الشاطئ الجنوبي للبحر المتوسِّط، وتستطيع من هناك أن ترصُد الإشارات الخارجية من المقر السري ...

لم يَرُدَّ «أحمد» ... كانت المعلومات فعلًا في غاية الأهمية.

في ضيافة السنيور «بنيتو»!

عند خروجهما من بوابة المطار لمح «أحمد» ثلاثة رجالٍ يقفون عند موقف انتظار السيارات ... عرف على الفور أنهم الرجال الثلاثة الذين كانوا في السيارة «الفيراري» ... فقد كان لأحدهم لحيةٌ سوداء لا تخطئها العين ...

جذب «أحمد» ذراع «عثمان»، وقال: هؤلاء الرجال الثلاثة كانوا يطاردونني منذ ساعتَين في الشوارع ... إن خروجنا أصبح مشكلة!

ولكن المشكلة حُلَّت في اللحظة التالية ... فقد كان الرجل الذي أوصلَه بسيارته يخرج مع إحدى السيدات إلى سيارته التي كانت تقف أمام الباب مباشرةً.

أسرع «أحمد» يجذب «عثمان» إلى السيارة، وانحنى على الرجل مرةً أخرى وقال: معذرة يا سنيور ... هل يمكن أن تأخذنا معك؟

صاح الإيطالي الطيب: طبعًا ... يا لها من فرصة! ... أُقدِّم لك زوجتي ... لقد كانت في رحلة إلى القاهرة!

أحمد: وأُقدِّم لك صديقي ... إنه قادم من القاهرة أيضًا!

كانت السيدة تجلس بجوار زوجها في المقعد الأمامي، فقفز «عثمان» و«أحمد» إلى الكنبة الخلفية في السيارة، وانطلقَت السيارة ومرَّت أمام الرجال الثلاثة، وأخفى «أحمد» وجهه بمنديله، وكأنه يمسح أنفه ... ولم ينظر الرجال الثلاثة إلى السيارة طبعًا؛ فلم يتوقَّعوا أبدًا أن يكون بها «أحمد» ...

كان «أحمد» يفكِّر أثناء الطريق في مكانٍ ثالث يقضيان الليل فيه ... فمن الممكن أن يكون الفندق مُراقبًا، وكذلك الشَّقة المفروشة في شارع «لورنزو».

وقال الرجل الإيطالي والسيارة تقترب من مدينة روما: إلى أين تذهبان؟

أحمد: لم نُحدِّد مكانًا بعدُ ... فهناك ظروفٌ تضطَّرنا للبحث عن مأوى!

الرجل: أرجو أن تقبلا ضيافتي.

وتحدَّث الرجل إلى زوجته التي التفتَت تنظر إلى «أحمد» ثم قالت: فعلًا ... إنه يُشْبه «كارلو»!

وفهم «أحمد» أنها تُشير إلى ابنها الذي مات ... وعاد الإيطالي الطيب يقول: ما رأيك أيها الشاب؟

أحمد: إنني في شدة الخجل أن أُثقل عليك!

وصلَت السيارة إلى فيلَّا مُقامةٍ وسط حديقةٍ واسعة، وانفتح باب الحديقة أُتوماتيكيًّا ... ومرَّت السيارة، ثم نزل الأربعة، وقال السنيور «بنيتو»: مرحبًا بكما في منزلنا.

ودخل الأربعة الفيلَّا ... كان الخدَم قد ناموا ... وعَرضَت السيدة أن تُعِد طعام العَشاء، ولكن «أحمد» و«عثمان» رفضا تمامًا.

وقال «أحمد»: إنكِ متعبة من الرحلة، اسمحي لنا أن ندخل المطبخ ونُعِد طعامنا، وحدِّدي لنا مكان النوم!

ودخلا معًا المطبخ، وأخرج «عثمان» من حقيبته الصغيرة جهازًا يشبه الراديو الصغير، ثم أخرج الكارت البلاستيك ووضَعه في ثقب بالجهاز، فأضاءت بعضُ اللمبات الحمراء ...

وقال «عثمان»: هذا جهازُ إرسال واستقبال دقيقٌ للغاية، من نفس النوع الذي تستخدمه العصابة، ولا يمكن تشغيله إلا بهذا الكارت!

أحمد: إنه معجزة!

عثمان: لقد تَوصَّل الباحثون في المقر السري إلى تصنيع هذه الجهاز في الشهور الأخيرة وكان موضع التجربة ... وفي إمكانكَ وَضْع الجهاز في السيارة أو في أي مكان؛ فهو يعمل بالبطارية والكهرباء معًا ... ويستطيع التقاط الإشارات وإرسالها من وإلى أي مكانٍ في العالم!

أحمد: وكيف نستفيد منه؟

عثمان: إن في إمكاننا الآن أن نحصل على الإشارات والتعليمات التي تدور في مقرها العائم على البحر ... كما نستطيع تحديد مكان السفينة الإلكترونية!

أحمد: وهل تَمَّ وَضْع خطَّة للهجوم على هذه السفينة؟

عثمان: لقد طلبوا مني السفر فورًا إلى «روما» لمقابلتك، وسنتلقَّى تعليمات رقم «صفر» بالخطة خلال الساعات القادمة.

أحمد: إن رقم «صفر» سيتصل بنا إما في الفندق، أو في شقة شارع «لورنزو» ... ولن يجدنا!

عثمان: لنتصل نحن به!

نظر «أحمد» إلى ساعته، كانت قد تجاوزَت الخامسة صباحًا ... فقال «أحمد»: هيا نرتاح قليلًا، ثم نرى ما يأتي به النهارُ!

كانت الغرفة التي أشارت إليها زوجة السنيور «بنيتو» تقع في الدور الأرضي ... فقاما إلى هناك، ووجدا فِراشَين جميلَين ... استلقى كلٌّ منهما على سرير، واستغرقا في النوم فورًا!

عندما استيقَظ «أحمد» و«عثمان» كان النهار قد انتصف، ووجدا السنيور «بنيتو» قد غادر المنزل وزوجته، فتركا لهما رسالة شكر، ثم خرجا إلى الطريق ... استوقفا سيارة تاكسي حملتهم إلى الشَّقة المفروشة ... واتصلا برقم «صفر» الذي قال على الفور: «أين أنتما؟»

أحمد: إنها قصةٌ طويلة ... ولكنَّا اضطُررنا لقضاء الليل في الخارج!

رقم «صفر»: «وصلت المعلومات عن طريق جهاز اللاسلكي الجديد!»

أحمد: لقد شرح لي «عثمان» كل شيء.

رقم «صفر»: «غدًا ليلًا تأخذان الطائرة إلى «نابولي»، ستجدان في الميناء يختًا سريعًا اسمه «سوان»، سيحملكما ومعكما «رشيد» إلى جنوب البحر المتوسط قرب شواطئ «ليبيا»، اليخت مزوَّد بصواريخَ عائمة، إنها صواريخُ انتحاريَّة ... ويجب أن تكونوا على حذَر، سيشرح لكم المهندس المختص كيفية توجيهها ...»

أحمد: سنقوم بالمهمة!

رقم «صفر»: «خذوا حذركم أنتم الثلاثة ... مع تمنياتي لكم بالنجاح!»

جلس الصديقان يتحدَّثان عن المهمة القادمة ...

قال «أحمد»: من الواضح أنها صواريخُ لا تُطلق من اليخت!

عثمان: إن اليخت أصغرُ من أن يُطلق صواريخ!

أحمد: سنذهب هذا المساء إلى الأوبرا لمشاهدة أوبرا عايدة، تُقدِّمها فرقةٌ مصرية، لعلنا نجد تذكرةً لك!

في الثامنة مساءً خرجا ... استقلَّا تاكسيًا إلى الأوبرا، واستطاعا الحصول على تذكرة «لعثمان»، ولكن ليس بجوار «أحمد»، وقد استمتعا بالأوبرا ... وخرجا قُرب منتصف الليل، والتقَيا عند المدخل ...

قرَّر «أحمد» و«عثمان» أن يسيرا قليلًا إلى مطعمٍ قريب لتناوُل العشاء ... وفي وسط زحام الخارجين من الأوبرا سارا ... وفجأةً دفع «أحمدُ» «عثمانَ» وأسقَطه على الأرض، وارتمى هو أيضًا، وحدثَت ضجَّة بين السائرين، وسمع الناس صيحةَ ألمٍ تنطلق في وسط الزحام.

سحب «أحمدُ» «عثمانَ» من يده، ثم أخذه جانبًا بعيدًا عن الزحام ... وكانت هناك حلقةٌ من الناس حول رجلٍ سقط على الأرض ...

قال «أحمد»: لقد شاهدتُ الرجل الذي قتل «كارديلِّي» ...!

عثمان: كيف عرفتَ؟

أحمد: إنه نفس الطبيب المزيَّف الذي تظاهَر بإسعاف «كارديلِّي»، بينما هو قد أطلَق عليه الرصاص من حقيبته ... إنها حقيبةٌ بها بندقيةٌ قصيرةٌ بمجرَّد الضغط على زِرٍّ فيها ينطلق منها الرصاص الصامت للقضاء على الضحية دون أن يرى أحدٌ السلاح.

الصيد الكبير!

قال «أحمد»: من الخطر جدًّا أن نبقى في «روما» ... سنذهب إلى نابولي الليلة!

عثمان: هل هناك أشياءُ هامَّة في الفندق أو الشَّقة؟

أحمد: بعض الملابس والأسلحة ... ومهما كان فسنترك كل شيء ونذهب إلى «نابولي» الليلة، ثم نعود لأخذ الأشياء!

ركبا تاكسيًا إلى المطار الداخلي ... ووجدا مكانَين في الطائرة إلى «نابولي»، وبعد ساعة ونصف كانا ينزلان في المطار ... ركبا تاكسيًا واتجها إلى الميناء، واختارا فندقًا بسيطًا قضَيا فيه ما بقي من الليل، وفي الصباح قضيا بعض الوقت في شوارع «نابولي»، حتى إذا هبط المساء على الميناء اتجها للسؤال عن اليخت «سوان».

كان في انتظارهما «رشيد»، وسرعان ما كان اليخت يُبحِر مغادرًا «نابولي»، وجلس المهندس «يسري» يشرح لهم نوع الصواريخ قائلًا:

إنها ليست صواريخَ بالمعنى الدقيق ... ولكنها نوعٌ من الطوربيد يعتمد على التوجيه البشري ... وقد اخترع الإيطاليون هذا النوع من الطوربيد في الحرب العالمية الثانية ... وسمَّوه الطوربيد الانتحاريَّ ... فكان أحد المتطوعين يقوم بركوبه تحت الماء، ويظل فيه حتى يصطدم بالسفينة فتنفجر ...

ولم يُصدِّق الثلاثة أن رقم «صفر» يضعهم أمام الموت بهذه البساطة، ولكنهم بالطبع كانوا مُستعدِّين للمهمة ... ولكن هذا الخاطر تلاشى عندما مضى المهندس «يسري» يقول: ولكننا بالطبع لن نطلب منكم القيام بهذه المهمة الانتحاريَّة ... فقد استطعنا تطوير «الطوربيد» بحيث يتم إطلاقه قبل ٣٠٠ متر من الهدف!

ونزلوا معه إلى قاع اليخت حيث كانت الطوربيدات ... كان كل طوربيد يُشْبه غواصةً صغيرة ... مقدِّمتها هي الصاروخ ذو الطوربيد ... والجزء الثاني فيه من البلاستيك، فيها

محرِّك الغواصة الصغيرة، وأجهزة التوجيه ... وشَرحَ لهم «يسري» كيف يُركِّبون الطوربيد تحت الماء الذي سينطلق بهم بسرعةٍ كبيرة، حتى إذا وصلوا على مبعدة ٣٠٠ متر من الهدف أداروا أجهزة الطوربيد، فينفصل عن بقية جسم الغواصة، ويُصيب الهدف دون أي احتمالٍ للخطأ ...

قام «عثمان» باستخدام جهاز اللاسلكي بالكارت البلاستيك، واستطاع أن يُحدِّد مكان السفينة الإلكترونية، وكانت تتحرَّك قرب خليج «سيموت في ليبيا» ...

كان اليخت مزوَّدًا بمحركاتٍ ضخمة لا تتناسب مع حجمه، فانطلق كالصاروخ نازلًا من الشواطئ الشمالية للبحر المتوسط إلى الشواطئ الجنوبية ...

نام الشياطين الثلاثة بعد أن قال لهم المهندس «يسري»: إنهم لن يصلوا إلى الهدف قبل الفجر ... وعندما بدأَت خيوط الفجر تَظهَر أَيقظَهم ... وسرعان ما ارتدَوا ملابس الغوص ... ثم قفز كلٌّ منهم إلى «طوربيد» الذي خرج من الفتحة الواسعة إلى المياه المظلمة.

لم يعودوا في حاجة إلى جهاز اللاسلكي ... فقد كانت شاشاتُ التليفزيون الدقيقة داخل الغواصات الصغيرة تُحدِّد لهم الاتجاه بدقة ... وبعد نصف ساعة من الإبحار أصبحوا على بعد نحو كيلومترٍ واحد من السفينة ... كانت سفينةً ضخمةً قد ارتفعَت عليها أنواعٌ من أجهزة الإيريال الضخمة، والرادارات التي تدور في كل اتجاه ... وأخذ الشياطين يُهدِّئون من سرعة الغوَّاصات الصغيرة ... حتى أوقفوها تمامًا عند مسافة ٣٠٠ متر من السفينة ... وضغَط كلٌّ منهم على زِرِّ التوجيه، وانطلقَت الصواريخ الثلاثة تطير تحت الماء في اتجاه السفينة ... بينما أدار الشياطين مُحرِّكاتهم وانطلَقوا عائدين إلى اليخت ... هزَّت الانفجارات الثلاثة البحر ... وتتالَت الانفجارات في السفينة، حتى إن الغواصاتِ الصغيرةَ اضطربَت تحت الماء وكادت تنقلب.

عندما صَعِد الثلاثة إلى اليخت كان في انتظارهم المهندس «يسري» وعلى وجهه ابتسامةٌ عريضة قائلًا: لقد أصبتم الهدف بدقةٍ لا مثيل لها ... إن السفينة تغرق!

وقف الثلاثة على ظهر اليخت، ينظرون من خلال النظَّارات المكبِّرة ... كانت السفينة الإلكترونية تغوصُ في الماء تدريجيًّا، وقد اشتعلَت فيها النيران ...

ابتسم «عثمان» وهو يقول: كل هذا بالكارت البلاستيك الصغير!

أحمد: كانت صُدفةً طيبة!

وأخذ اليختُ يدور متجهًا إلى الإسكندرية ... وعندما اقتربوا من الميناء كان اللاسلكي يتلقَّى برقيةً من رقم «صفر» يقول: «لم تعُد إشاراتُ المقر السري مراقَبة ... ماذا حدَث؟»

ردَّ «أحمد»: لقد نسَفْنا السفينة الإلكترونية هذا الصباح!

رقم «صفر»: «تَهنِئتي القلبية ... يمكنكم أن تقضوا إجازة في الإسكندرية!»

أحمد: إنني مضطرٌّ للعوة إلى روما؛ فقد تركتُ بعضَ أشيائي هناك.

رقم «صفر»: «إن روما لم تعُد مدينةً آمنة بالنسبة لكم!»

أحمد: كما ترى يا سيدي ... ولكنْ هناك شخصٌ يُدعى السنيور «بنيتو» كان كريمًا معي، وأريد زيارته.

رقم «صفر»: «سنعقد اجتماعًا بعد ثلاثة أيام في المقر السري لتقييم عملنا في هذه المغامرة ... فإنها لن تمر ببساطة!»

أحمد: هذا ما أتوقَّعه.

ووقَف الثلاثة ينظُرون إلى الإسكندرية الجميلة من البحر ... وقد سَرَح كلٌّ منهم في خواطره.

هنـــداوي